

وقد تأرجحت هذه الفكرة (فكرة جمع الحديث وتدوينه) بين الظهور والاختفاء فعرضت لعمر بن الخطاب ، يروي عمرو أن عمر بن الخطاب أراد أن يكتب السنن واستشار فيه أصحاب رسول الله ﷺ فأشار عليه عامتهم بذلك ، فلبث شهرا يستخير الله في ذلك شاكا فيه ، ثم أصبح يوما وقد عزم الله له ، فقال : « اني ذكرت لكم من كتابة السنن ماقد علمتم ، ثم تذكرت فإذا أناس من أهل الكتاب من قبلكم قد كتبوا مع كتاب الله كتباً فانكبوا عليها وتركوا كتاب الله واني والله لا ألبس كتاب الله بشيء » .

وفي العصر الاموي يطلب عمر بن عبد العزيز إلى بعض أهل العلم بلى يوجه نداء عاما إلى أهل الآفاق يطلب منهم أن يجمعوا ما بين أيديهم من حديث ويدونوه لكن التاريخ لم يحفظ لنا نتيجة عملية لهذا الطلب فعمل عمر بن عبد العزيز قد توفي قبل أن تتحقق فكرته وأهمل من بعده هذا الامر .

ثم ماتلث هذه الفكرة أن تظهر في العصر العباسي في عهد أبي جعفر المنصور يروي مالك بن أنس : لما حج المنصور قال لي : قد عزمت على أن أمر بكتيبك هذه التي وضعتها فتنسخ ، ثم أبعث إلى كل مصر من أمصار المسلمين منها نسخة وأمرهم أن يعملوا بما فيها ولا يتعدوه إلى غيره ، فقلت يا أمير المؤمنين لا تفعل هذا فان الناس قد سبقت إليهم أقاويل وسمعوا أحاديث ورووا روايات ، وأخذ كل قوم بما سبق إليهم ، ودانوا به ، فدع الناس وما اختار أهل كل بلد منهم لأنفسهم » .

ونستنبط من هذا الخبر أن النية لم تكن مقصورة لديه فحسب على جمع الحديث وتدوينه إنما تعدته إلى أخذ الناس جميعا بتشريع واحد يتطور فيما بعد .

وهكذا مضي القرن الأول ولم يتخذ تدوين الحديث صفة رسمية وإنما كان يدونه نفر قليل لأنفسهم ، ويحيى القرن الثاني الهجري فتنهض جماعة من الامصار المختلفة تجمع الحديث لا بالمعنى الذي ذكرنا قبل ، ولكن بمعنى أن كل عالم جمع الاحاديث التي رويت له وصحت عنده قال ابن حجر في شرح البخاري : « وأول ما جمع من الحديث ذلك الربيع بن صييح المتوفى سنة ١٦٠ هـ ، وسعيد بن أبي عمرويه (سنة ١٥٦ هـ) إلى أن انتهى الأمر إلى كبار